النظر للإنسان بين قيمه الذاتية، وقيمه التي يكتسبها بواسطة ما هو خارجيٌّ عن ذاته (رأس ماله مثلاً)، كل هذه الأشياء شكلت في نظر «زيما» الأساس الذي قامت عليه رواية «مارسيل بروست»: «بحثاً عن الزمن الضائع» وتتخذ هذه الازوداجية أشكالاً مختلفة، أهمها ازدواجية الشخصية، فالفرد يتحول إلى نقيضه: «الفحل إلى لواطيٌّ سلبي، المرأة المخلصة إلى عاهرة. ثم إن الخطاب السيكولوجي يصبح هو الأداة الحقيقية لتصور هذه الازدواجية في الرواية التي تطرح تساؤلاً وجودياً متعلقاً بالتفاوت الحاصل بين حقيقة الكائن، ومظهره الاجتماعي[194].

إن أهمية عمل «زيما» تكمن في الكيفية التي شرح بها تجسُّد توسُّطِ قيمة التبادل على مستوى الكتابة الروائية عند «بروست». أما عن تفسير موقف الكاتب من «الوضعية السوسيو ـ لسانية» لعصره فيتجلى في عرض تلك الازدواجية على تساؤلٍ دائم: ما هي الحقيقة أمام كل هذا؟ وهذا التساؤل يدفع بالضرورة إلى البحث عن قيم بديلة مفتقدة، وهي القيم الفردية التي محاها قانون التبادل السِّلعي.

يرى «زيما» أن «مارسيل بروست» **ينتقل إلى تصوير البديل عن طريق حديث منولوجي يجسِّد فيه تمجيده للكتابة الروائية ذاتها بأعتبارها الواقع الوحيد الحقيقي**[195]. إن الكتابة إذاً تتحول إلى عالم أسطوري يتم فيه خلق الوحدة التي انتهكتها الازدواجية في الواقع[196].

ما يميز «بيير زيما» إذاً عن «باختين» ليس هو إدماج الرواية ضمن «الوضعية السوسيولسانية (الإديولوجية) ـ فهذه النقطة نعثر عليها في مفهوم الحوارية عند «باختين» ـ ولكن هو تحديد معناها، ودورها داخل نسقها السوسيولساني هذا، أي تحديد الدور الإديولوجي الذي تقوم به الرواية باعتبارها خطاباً فردياً مساهماً في الحوار الإديولوجي وله موقف محدد من الواقع.

وهذا الجانب يعطي لسوسيولوجيا النص عند «زيما» طابعاً جدلياً يتميز بشكل واضح عن السوسيولوجيا النصية التي تقول بحياد الكاتب كما نجدها عند «باختين» أو «كريستيفا».

محاولات أخرى في سوسيولوجيا النص الروائي:

إن اتجاه سوسيولوجيا النص الروائي يمثله أيضاً بعض المنظرين الآخرين الذين لم

---

(194) Ibid., P. 178.
(195) Ibid., P. 278.
(196) Ibid., P. 279